

الأمثل في تفسير كتاب الإن المنزل

[435] ما المراد من "جنود السماوات والأرض"؟! هذا التعبير له معنى واسع حيث يشمل الملائكة "وهي من جنود السماء" كما يشمل جنوداً أُخرَ كالصواعق والزلازل والطوفانات والسيول والأمواج والقوى الغيبية غير المرئية التي لا نعرف عنها شيئاً.. لأنّ جميع هذه الأشياء هي جنود الإن وهي مطيعة لأوامره!. من هم الظانّون بالإنّ السوء؟! قد يكون سوء الظنّ تارةً بالنفس، وقد يكون سوء الظنّ بالآخرين، كما قد يكون بالإنّ، وبهذا التقسيم وعلى منواله يكون "حسن الظنّ" أيضاً. أمّا سوء الظنّ بالنفس إذا لم يبلغ درجة الإفراط فهو سلّم إلى التكامل ويدفع الإنسان إلى التدقيق في أعماله والإخلاص فيها، ويكون حازماً عن العجب والغرور منه عند قيامه بالأعمال الصالحة. وبهذا فإنّ الإمام علياً (عليه السلام) يصف المتّقين في جوابه لهمّام قائلاً: "فهم لأنفسهم متّهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زكّي أحد منهم خاف ممّا يقال له، فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري وربّي أعلم بي منّي بنفسي، اللّهمّ لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل ممّا يظنّون واغفر لي ما لا يعلمون"(1). وإذا كان سوء الظنّ بالناس فهو ممنوع إلّا أن يغلب الفساد في المجتمع حيث لا ينبغي هناك حسن الظنّ "وسياًتي بيان هذا الموضوع بإذن الإنّ ذيل الآية 12 من سورة الحجرات". أمّا سوء الظنّ بالإنّ أي سوء الظنّ بوعده أو رحمته وكرمه الذي لا حدّ له فهو قبيح ومذموم، وقد يدلّ على ضعف الإيمان وربّما دلّ على عدم الإيمان! ويشير القرآن عدّة مرّات إلى سوء ظنّ ضعاف الإيمان أو عديمي الإيمان.. وخاصةً عند بروز الحوادث الإجتماعية الصعبة وطوفان الإبتلاء والامتحان، وكيف أنّ المؤمنين يبقون ثابتي الأقدام عند هذه الحوادث وهم في كمال حسن الظنّ والإطمئنان بلطف الإنّ.. ولكنّ ضعيفي الإيمان يطلقون لسان الشكوى، كما كان ذلك في قصة الحديبيّة، حيث إنّ المنافقين ومن على شاكلتهم أساءوا الظنّ، وقالوا أنّ محمّداً وأصحابه يمشون في سفرهم هذا ولا يعودون بعده، فكأنّهم نسوا وعود الإنّ أو أنّهم اتهموها. والنموذج الآخر ما حدث في ساحة يوم الأحزاب حين زلزل المسلمون زلزالاً شديداً ووقعوا تحت التأثير والمحنة الصعبة فهناك ذمّ الإنّ المسيئين الظنّ به فقال: (إذا جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنّون بالظنوننا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً)(2). وقد عبّرت الآية (154) من سورة آل عمران عن مثل هذه الظنون بـ "ظنّ الجاهلية". وعلى كلّ حال، فإنّ حسن الظنّ بالإنّ ورحمته ووعده وكرمه ولطفه وعنايته من علائم الإيمان المهمّة ومن الأسباب المؤثّرة في النجاة والسعادة!. حتى أنّّه ورد في بعض أحاديث الرّسول (صلى الإنّ عليه وآله وسلم) قوله: "ليس من عبد يظنّ

بإِ خيراً" إلاَّ كان عند ظنِّه به" (3). كما ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أنَّه قال: "أحسن بآ الظن فإنَّ آ عزَّ وجلَّ يقول أنا عند ظنِّ عبدي المؤمن بي إن خير فخير وإن شر فشر" (4). وأخيراً فقد ورد حديث آخر عن النَّبي (صلى آ عليه وآله وسلم) يقول فيه: "إنَّ حسن الظنِّ بآ عزَّ وجلَّ ثمن الجنَّة" (5)!. فأی قيمة أيسر من هذا.. وأیُّ متاع أعظم قيمةً منه؟! * * * _____ 1 - نهج البلاغة. 2 - الأحزاب، الآيتان 10 - 11. 3 - بحار الأنوار، ج70، ص384. 4 - بحار الأنوار ج70، ص385. 5 - المصدر السابق.